قلب سايكو

بلى. وَخَطَ الشيبُ قُبعتي. لا أكابرُ. ربطةُ عنقي حائلةُ اللون. طَفْحُ العذاب على معطفي. لا أكابرُ. يا سيدي الوقت. كم من صباح جديد سأنهض محتسياً قهوتي نفسها. من فناجينك الأزليّة ؟ كم من حلاقة ذقنٍ ومعجون كولغيت سأعبرُ ؟ كم من طعام وكم من سلام وكم من كلام وكم من عبور سأعبر يا سيدي الوقت ؟ كم مرة سوف أقلقُ ليلاً وكم مرة سأطلُ من المنزل الجبليّ على قريتي النائمة ؟

وكم مرة سأنام وأصحو. أنام وأصحو. أنام وأصحو.. الى الخاتمْ ؟

هربتُ اليكَ. ومنك هربتُ. احتميتُ بأمجادك الموسمية. خبأتُ سرّي في خيمة السيرك. غنيتُ طوفانك الدمويّ. وخاطبتُ نفسي في وحشة الليل. آخيتُ بين السنابل والنار. يا سيدي الوقت. أوصدتُ سمعيَ عن وقع خطوتك القادمْ.

أميراً على المؤمنين ولا مؤمنين. اصطفاني الصعاليكُ من أصفيائي. لكي يسلبوني. وما ظل عنديَ للسلب والنهب. غير عذاب جهنم في اتقيائي. وبئس المصير. وفي أصدقائي. هنا تتقطر من بلح الذكريات أغانيَّ.

ينفجرُ البرقُ من خطوتي ألف عام. هنا تتمشى الأميراتُ حولي. يلامسن شالي الذي يتهاوى شهاباً. ومن كتفيَّ الى آخر الارض يَنشرُ نورا ونارا.

ويا أيها الوقتُ. كم مرة يتهاوى شهابي ؟ وكم مرة من رمادي سأنهض ؟ يا أيها الوقت. لي مطرٌ في نهاياته مطرٌ ليس لي.

شجر كان لي. ثمر ليس لي.

وزفافٌ سعيد قُبيل الجنازة أو بعدها بوليدٍ جديدٍ. فصولٌ تدور

على جسدي. محوِّراً قائماً. وتدور على بلدي. دورة الأبد القائمة..

ولي في المدار القديم مدارٌ. وأهل ودار. ولي كُتُب وصغارٌ. وشوك وغار. وأسئلة دائمهْ..

ولي غفلة عنك في قلب سايكو. ويا سيدي الوقت لي غفلة منك عن قلب سايكو ونبضته الحاسمهْ..

نهارٌ يوزع حلواه بين خصومي وبينيَ. ليلٌ يُريح أكاليل أمواته في فراشيَ. دقات قلبيَ مَفْخرة للالكترونيكا.. قلبُ سايكو هنا ! (لأبي هيبةُ الأوميغا !) أيها الوقت ها أنتذا تضحكُ الآن ملءَ المواعيد.. تجمعنا نبضةٌ.. نبضةٌ ثم تنثُرنا سكتاتُ القلوب. وتبكي وتضحك يا وقت. إيقاعُك الحكمة الأبديةُ. مارشُ المعارك ظلك. ديسكو الرغائب جنازُ إدراكنا. أيها الوقت. من يُسعف القلب. من يُنصفُ الروح. من يوقظ النور في العتمة الفاحمهْ ؟

ومن يوقظ الوهم بالوهم ؟ كم من طريق سأعبر ؟ كم من زحام وكم من غرام وكم من صدام. ومن واجهاتٍ ومن عتباتٍ ومن حفلاتٍ ومستشفيات.

وكم من ليال سأعبرُ بعدُ ؟ ويا سيدي الوقت. أخشى انحناء العظام وأخشى الترهُّل. لا أستسيغُ الأطباء. لا أستريحُ لهمس الصيادلة الصارمين. وولولة الأمبولانس. وأخشى المفارِقَ. قتلى الحوادث يا سيدي الوقت قتلى الهوى. السرطان. التلوث والحزن. أكبر من شهوات الحروب. وأكثر مما تقول قُشَعْريرة الفجأة الداهمهْ..

ومن عادة الموت أن يشتهينا اغتيالاً. على غرةٍ من صفاء النوايا. يفاجئنا صاحبٌ من قديم الزمان بألفتِهِ المستعارة ينزع عن وجهه واسمه ويديه وعن روحه المستعارة أقنعةً أفعمت عمرنا بالحماس الضروريّ كي تستقيم الحياة. يمد مسدّسه ليصافح تاريخنا المستعار.

يقول الرصاصَ الحقيقي تلو الكلام الصدى المستعار ونفغر أفواهنا دهشين. نفتّح أعيننا لاتساع يفكّ غموضَ الأساطير يمحو الاشارات يلغي اللغات يلمُّ رموز الطلاسم في لفظةٍ «أنت» ؟ نهوي ونغرق في دمنا المتلعثم قبل انكسار الشعاع الأخير على سطح مرآتنا القاتمهْ.

ويا وقتُ
من عادتي أن أبوح بما لا يباح
وأن أغرس الورد بين الدموع وبين الجراحْ
فما راح آبَ
ومن آبَ راحْ
ومن صادَقَ الموتَ فيهِ استراحْ

بلى. وَخَطَ الشيبُ لَحمي وقبعتي. شردَتْني الحقيقة. خامرني الشك. يا سيدي الوقت. عارية صبواتي. قليل سلامي. ولي من جنوني صديق وحيد يصارحني. كلماتي ملوكٌ قدامى انتهى نسلهم بوصول الغزاةِ. سلاطينُ روحي عبيدُ الخرافات. يا سيدي الوقت قل لي. متى تتمالك عصيانك القدريّ ؟ متى تتهذبُ ؟ قل لي متى تتعلم درساً من الوقت. يا وقت. هبني غبار خطاك الأخيرة. كي أكتبَ اسمي على بابك الحجريّ المخيف. واغمض عينيّ عنك. وعن لعنة الأغنيات. ومجزرة الكلمات. وعن مهجتي الهائمةْ..

لمن كلُّ هذا ؟ رؤوس تشبُ على الماء في فيضان أخير. هديرٌ وصيحات غرقى. استغاثات سيدة رَمَّلتها الزوابع. بحرٌ من الرمل والزبد البشريّ يهيج على بر روحي. صواعقُ رزنامةٍ غائمةْ..

أخذتُ فضاءَك يا وقت. في ساعة الصفر. كنتُ وحيداً فكنتُ. تزودتُ من زُحَلٍ بوقودي الفضائي. جاوزت دهراً من الضوء وحدي. ووحديَ نقَّلت خطوي. من كوكبٍ لا تراهُ العيونُ. الى كوكبٍ لا تراه الظنونُ. الى كوكب لا تراهُ الكواكب. خلف مجرتها العائمةْ...

أتيتُ.. رأيتُ.. ولم أنتصرْ

وطال انتظاري.. فمن أنتظرْ ؟

وطال انكساري. ولن أنكسرْ

أتيتُ. رأيتُ. وعدتُ الى كوكب الروح محترقاً عارياً. من ورائي الحريقُ. وأفقٌ يضيقُ. وجسمي على الغَمْر يطفو. وعدتُ بل عدتُ. وحدي. بلى. وخط الشيبُ روحي وباروكتي.

أنهكتْني أعاصير باديتي. حفرتْ في جبيني أخاديدها. اخترقت محجريَّ. مضتْ عبر جمجمتي. لبقاع تراودني. كي أؤمّ بوهمي اليقين مجاهلها الواهمهْ..

على سُلَّمٍ من هياكل عظمي القديمة. تصعد فوجاً ففوجا. شعوبٌ من الريح والليل والثلج تصعد مثقلة بعذابي القديم المقيم. وتصعد شعباً فشعباً. الى وطن كان لي. تتجامع في وطن كان لي. تتكاثر في جثتي الواجمهْ..

ومن أضلعي سلَّم للمطارات. جلدي حقائبُ للقادمين الى وطن ليس لي. ليس لي غيرُهُ. ليس غيري له. وطنٍ كفنٍ. ليس لي غيرهُ. ليس غيري له. وطني وطني وأنا العاصمهْ..

تقدس سرك يا وقت. كيف تَدَنسَ جَهرك يا وقت ؟ كيف استوى الخير والشر والرجس والطهر. والبرد والحر. والحلو والمر. في

كأس الظالمهْ ؟ !

وآمنتُ آمنتُ يا وقتُ.. لا عدل لا ظلم. لا حرب لا سلم ! إلا لسلطتك الغاشمهْ !!

ولي أن أقولْ

خبايا الفصولْ
ولي أن أقالْ
صدىً في الجبالْ
ولى أن أكون
جناحَيْ ملاك
هنا أو هناك
ولي أن أكون
ضلالة عقلٍ وحمّى انتباهٍ
ولي أن أكون
هُدىً في الجنون
أخاً ثالثاً..

أخاً ثالثاً. أيها الوقت، ما بين قايين في صمته الدموي وهابيل في موته العبثي. أخاً ثالثاً بين موت ثقيل وعار ثقيل. فيا سيدي الوقت. هبني وما كنت في الفاهمين. مواعظك الفاهمهْ..

أيسمع صوتي قايين ؟ هابيل. هل أنت مصغٍ اليّ ؟.. ويا أخويّ. على بئر نفط تُجيَّش هذي الجيوشُ ؟ وقلبي يموتُ.

وموتي يعيش ؟ ويا أخويّ. حبيبيّ. يا قاتليّ على جانبَيْ بئر نفط تُراقُ الدماءُ ؟ ويا أخويّ. أخٌ ثالث. دمه في مزارعهِ. سائل. سائب في جوامعه سارح. سائح في كنائسه. ساخنٌ ساخط في مدارسه. دمه في شوارعه. وجهه في حديد الغزاة. يداه لنيرانهم. فمه فاغر بصراخ الضحايا. وآخ السبايا. اخ مؤمن بين نارين كافرتين. أنا هو ذاك العذاب القديم المقيم.

على كل بابٍ وقفتُ طويلا..
وعن كل باب طُردتُ. وعدتُ ورحتُ. وراوحتُ جيلاً فجيلا.
ولا الشكلُ شكلي
أمان. آه. يا لَلي.
ولا الظل ظلي.
أمانْ. آه. يا لَلّي.
ولا الدار داري
ولا الجار جاري
ولا الاهل اهلي
أمان. آه. يا لَلّي
بأية عينٍ

وفي أي ليلِ
الا أيها الوقت بالله قُل لي
متى تتصدعُ جدران سجني العتيق.. وتُعتِقُني هذه اللازمهْ ؟
أمانْ. آه. يا لَلُّ !!

كلامُ الملوكِ الذي لا يُعادُ. كلامُك.. صوتُ الجماهير صوتك. ألكائناتُ سواسية فيك. يا من تغيب الخلائق ذرّاً فذرّاً. تصير الى صور تتوالد. دهراً فدهراً. وتبقى اقامتك الدائمهْ..
الا أيها الوقت. قلنا وقلنا. بكل اللغات. وكل الرموز. وكل الاشارات. قلنا وقلنا. وهنا نحن. ألْسنَة عقدتها الخلاصةُ. لا لم نقل. أيها الأبكم الفذّ. في صمتك القول والفصل والحكمة الحاكمهْ.

الى أين تفضي ؟ الى أين تمضي سلالاتك الحرة الراغمهْ ؟ ويا سيدي الوقت. عدتُ ولم أمضِ. في كل بحر سبحتُ وبُحت. على كل ريح جمحتُ وصحتُ. ويا وقتُ. أدركتُ سرّ الحجارة. قلتُ الحديدَ. وهذبتُ روح البرونز. اصطفيت النحاسَ طويلاً.

ومن ذهب خالص. قلتُ أمضي الى ذهبٍ خالصٍ. عبرَ ما تمنحُ الارضُ. عشباً وحلماً. مروراً بصُبح الحدائق. صافحت في رحلتي دهشةَ الكائنات. اصطحبتُ شعوباً بلا عددٍ. وقبائلَ في نسلها تتعارفُ. بانيةً هادمةْ..
وبانيةً هادمةْ
ويا وقت. بانيةً قُدسَ أقداسها ملءَ أنقضاضِ خيباتها الآثمةْ.
مباركة بالبروق. منزهة عن مسيل دمي. بالهيولى مباركة. بالكلام الصحيح. بصدق اللسان مباركة. بنقاء الضمير. وقلتُ: منزهة عن مسيل دمي. كيف أغمطها حقها ؟ دنّسَتْها براءَتُها. لا مفرَّ منَ الحزن كفارة الكائنات. ليجتمع الخلقُ. حقاً. ليجتمع الخلقُ في أي شكل. قطيعاً وعائلةً. غابةً ومحيطاً وسرباً. ليجتمع الخلقُ حول الكنوز المثيرة. سراً. علانية. ليبوحوا بأحلامهم خلف حد العناصر. وليشتهوا كيف شاءوا. يداً في يدٍ. أيها الوقت. وليكشفوا بعض ما تشتهي. وليكنْ في يديك المصيرُ. سنبلى فرادى. وتبقى الأخير. ونبلى على كثرةٍ. وتظلُ الأخيرَ الاخير وحيداً بسلطان ضربتك القاصمةْ.
ولي ثرثراتُ المعادن فيك خُلاصتها. أيها الوقتُ. تنسى وتذكر.

عفوَ السجية. هامشك الخلق. أخلاقك الطقس. نَرْدُك ما يتناثر في الكون من أنجمٍ ووجوه. تقول الزلازل لو أغضبتْك المسافاتُ. ثم تقولُ الرضا وردةً ناعمةْ.

لكَ المجدُ «سايكو» نسمّيك من أنت ؟ من نحن. نحن أنا في ختام الفجيعةِ. نقعي على حُزننا الدمويِّ. وننحى على جدنا الوقت باللائمةْ.

زجاج يحطمه الحزنُ في آخر العمر. تذوي الشظايا على صمتها. كسرة كسرةً. لا أواصرَ. لا موجة من رنين تمرُّ بذرّاتها الأخوية. لا حزمة من ضياء. ولا خيلاء. شظايا. ومكنستي لحيتي تتذمرُ معزولةً. وشظايا أنا. هو. أنت. شظايا. على ذاتها جاثمةْ.

لك المجدُ.. يا وقت. آمنتُ. لا عدلَ إلا لسُلطتك الغاشمةْ !

هنا قلبُ سايكو

دمي رايتي. أيها الوقتُ لا

تورخ لفوضى عروقي. ولا

تمجدْ قرابين حزني. ولا

تَدُسْ رايتي قبل موتي. ولا

تَبَسْ رايتي بعد موتي. ولا
تردَّ أخير دمي أولا
أمرتَ
أطعتُ
هنا قلبُ سايكو
هنا ينزف القلبُ، أحزان سايكو

أُجالسُ صمتي. أخاطبه لا يردّ يخاطبني لا أرد. أجالس صمتي ظَهراً لظهرٍ. أصابع مشبوكة بقنوط ملولٍ على رُكبةٍ واجمهْ.
هنا قلبُ سايكوَ !!
وأنتَ هناك. ولستَ هناك. لأنك كلٌّ بغيرِ حدودٍ. ونحن الحدودُ.
وأجزاؤنا فيكَ يا وقت هائمة حائمهْ..
ويا وقتُ. لم تستجبْ لذكورة هذي الحياة أنوثتُها الحالمهْ.
ولم يبق الا التفسخ في الشمسِ والريح. لم يبقَ الا انتظار الفُجاءات. منصهرٌ رجلُ النارِ والثلج. هل تستعيد الخلايا المريضةُ عافيةَ البدء ؟ هل يسترد الدمُ المتفصّد ايقاع دورتِهِ

الصارمةْ ؟
زهورٌ لسايكو. زهور على قبر عرّافةٍ خطفتْها البروقُ من الشُرفات البعيدةِ. واستبدلتْها ببوصلةٍ للسقوط الجديد. زهور لقلب بلا كهرباء وإنفوزيا. وبلا جلطةٍ داهمةْ..
زهور لهذا الشحوب المفاجيء. للعائدين هشيماً. وكم بذّروا الوقتَ في أملِ العودة السالمةْ.
زهورٌ على نبضكَ المتلاشي. دخاناً صدىً لاحتفالٍ أخير بميلادِ عامٍ أخيرٍ. زهورٌ على الوقت. يا قلبَ سايكو المريض بِدقّته الحازمه..
زهورٌ على قبر سايكو..
ولي قلبُ سايكو.. هنا قلبُ سايكو.. هُنا.. وفصولٌ تُعري ضحالَتها. وفصولٌ تخبّيءُ عارَ المَلالِ. إلى أيٍّ شكل تؤول بتكرارها العبثيّ ؟ إلى أيّ حالٍ تحولُ مصادرُها ؟ لا أُكابرُ. أعلمُ أني المصبُ الأخيرُ. وأعلمُ أنك يا وقت سيدنا. لا أُكابر. لا وقتَ لي كي أُكابر. ها أنت تشهدُني في طقوس التفتتِ. مندثراً بهدوء الكفافِ. مريضاً بُحزني المعافى. بَلى. وَخَطَ الشيبُ قُبّعتي. قادَ روحي برفقٍ الى كهفهِ الملكيّ. وداعاً. وداعاً. أنا

ذاهبٌ أيها الوقت. قد نلتقي تحتَ شاهدةٍ من رُخام ونقش

يقول بدون

كلام:

هُنا قَلْبُ سايكو

هُنا يرقُدُ الصمتُ في قلب سايكو

زهورٌ... على قبرِ سايكو.